الموت موضوعا فلسفيا في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح

أ.د محمد جواد حبيب البدراني د. علي إبراهيم فيصل سعيد الشريفي
جامعة البصرة جامعة الموصل

الملخص

يكشف الحضور الفلسفي لموضوع الموت في رواية موسم الهجرة إلى الشمال عن المتغيرات التي تستمزج الوقائع المادية والتخييلية عبر المدركات النفسية والذهنية إضافة إلى المعرفية، بحثا في الأصول والغايات التي تبحث في موضوعة الموت ثيمة فلسفية على وفق تأمّلات وإجتهادات تعالج وبكثيرٍ من الدقّة موضوعاً متّصلا بواحدة من الموضوعات المهمة التي يحاول على وفقها الرصد النقدي التحليلي الكشف عن المضمونات والأسئلة التي يطرحها الوجود والكون، ومن هنا تبرز المهمّة الأساسيّة للفلسفة التي تتجلّى في الكشف عن المقومات الأنطلوجيّة للموضوع وإنفتاحه على الموضوعات الأخرى.

Philosophical Subjects
Death

Many of Arabic novels as " Migration Season to the North" have discussed philosophical issues and ideas especially if their characters were learned or have cultural conscious which give the reading its activity, therefore this novel came to reveal the philosophical function which is expressed by writing self relating it under philosophical issues and subjects connecting with its view to their ego and its relationship with being and society, (death) is one of these issues that its concept fluctuating between fate and submission, thus, (Sarter) is directing it as philosophical subject making it outside the field of human, and it is unnecessary event which the self cannot waiting, achieving, or leading itself toward it.

المقـدمة

الفكر الفلسفي جزءٌ لا يتجزّأ من حياة الإنسان، فما من أحدٍ إلا وقد وجد نفسه بين الحين والآخر أمام أسئلة يغلب عليها الطابع الفلسفي تتمثل في: ما معنى الحياة؟ هل كان لي وجود قبل ميلادي؟ وهل من حياة بعد الموت؟

ضمن هذه الأسئلة تتّضح ملامح الفلسفة في أنّها (التفكير في التفكير)، أي التفكير في طبيعة التفكير والتأمّل والتدبّر، وهي محاولة للإجابة عن الأسئلة الأساسيّة التي يطرحها الوجود والكون(1)، وهنا نجد الفلسفة– حسب سقراط– تتمثل في البحث العقلي عن حقائق الأشياء المؤدية إلى الخير، وكذلك البحث عن الكائنات الطبيعيّة وجمال نظامها ومبادئها وعلّتها الأولى، في حين يراها (أفلاطون) تتمثّل في البحث عن حقائق الموجودات ونظامها الجميل لمعرفة المبدع الأول، ولها شرف الرئاسة على جميع العلوم(2), وعند (هيدجر) تبدو المهمة الأساسيّة للفلسفة إستخلاص المقوّمات الأنطلوجيّة للوجود الإنساني بوصفه "الكينونة المنفتحة أبداً على الوجود"(3)، والفلسفة ضمن هذا السياق –وكما يراها البعض– تعلّم الإنسان الحياة، وتعلّمه كذلك الموت أحياناً أخرى ، وهذا يبدو بدلالته الواسعة "المَعْلَم الرئيس الذي يمكن أنْ نصفه بالفعل المحرّك وفق رؤية مركزيّة ثابتة"(4)، ومن هنا تطوّرت موضوعات الفلسفة وأصبحت أكثر تعقيداً وتشابكاً في تناولها، وتحديداً ضمن ما يربطها بالرواية وبما تحمله من طاقة متعدّدة الدلالة اسهمت بشكلٍ أو بآخر في إضافة جديد ما يعبّر عن رؤيا تشمل الحياة والموت ضمن سياق فلسفي يرتكز ـ ضمن الرواية ـــ على الذات والتاريخ والهوية واللغة، وهي تكشف في مجموعها عن تلك الأنشطة السريّة التي تشتغل في الداخل والخارج في لحظةٍ ما أو مقامٍ ما، وتنتظم في مسارات السرد في تشكيلة جديدة ضمن تيارات ليست مقطوعة الصّلة بجذورها اسهمت من خلالها في تحديد توجهات كل من الرواية والفلسفة والتي "عوّدت الإنسان على الحياة في عالمٍ مغلقٍ هو له بمثابة المركز"(5)

هنا تتقاطع الفلسفة والرواية في أكثر من موقع وفي أكثر من مستوى، وهذا التقاطع جعل البعض يرى أنّ الرواية قد تتحوّل إلى منافسٍ شرسٍ للفلسفة، اذ إنطلق بعض الفلاسفة إلى إستحضار شخصياتٍ روائيةٍ كنماذج للأسئلة الفلسفيّة التي يتم طرحها حول الذات والجسد والعالم، لتخلق واقعاً ملائماً لتلك التجريدات الفلسفيّة مستخدمة الرواية فضاءً لها، وفي ظل هذا التقاطع تبرز الكثير من الأسئلة قد تصل إلى حدّ التشابك بين الرواية والفلسفة، والتي منها: كيف للرواية أنْ تخلق فلسفتها الخاصّة، بمعنى أنْ تبتدع رؤيتها الخاصّة للعالم، وبحيث لا تتحول الرواية إلى خادمة للفكر الفلسفي، ويصير الجنس الروائي هامشيّاً بالنسبة للمتن الفلسفي؟ ومن جانب آخر هل نجد في منجز الرواية العربية تمثيلاً لـ (الرواية الفلسفيّة)؟(6)، وهل تلك الروايات جاءت من رؤية فلسفيّة إبتكرها الروائي أم هي نتاج الإتّكاء على أدبيّات علم النفس التحليلي وأدبيّات الفلسفة؟.

إن العمل الروائي عمل فني يعتمد على شخصنه الأفكار والأحوال، وهو يسعى في النهاية للبحث عن فكرة يعبر عنها، في حين ان الأفكار الفلسفيّة هي مجرّدات تبحث عن حالات تتمثّل فيها وتَشْخَص بها، والرواية حتماً تتضمّن بدرجاتٍ متفاوتة أفكاراً فلسفيّة تحوي على نحوٍ ما فلسفة تنبع من رؤاها العميقة لتشكّل مباحث فلسفيّة تتضمّن الخير والشر، السعادة واللذّة والقناعة والفهم والمعرفة والحياة والموت، ومن هنا إتّجهت الرواية إلى تلوين مناخاتها بعوالم الفكر الفلسفي وسعى النقّاد والفلاسفة وبعض المفكرين إلى أنْ يجعلوا من المتن الروائي متناً لأسئلتهم، فقد إنطلقوا يطرحون نظريّاتهم وأفكارهم حول الأنا والزمن والهويّة والموت والحياة من خلال نماذج روائية عالميّة، وطرحهم لأفكار فلسفيّة حاولوا عبرها تصعيد القيمة المعرفيّة والدلاليّة للرواية، في محاولة تحقيق وظيفة فلسفيّة من خلال نظرتها الخاصّة لفلسفة الموت والحياة موضوعا في الرواية، وهنا يأخذ

الخطاب الفلسفي طابع التصاعد في إتّجاه "يعكس مظاهر مختلفة أيديولوجيّة تخاطب وتحاور، تستبعد وتقرّب"(7)

إنّ كثيراً من الروايات العربية ومنها رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) ناقشت وتناقش قضايا وأفكاراً فلسفية متنوّعة، اعتمادا على كون شخصيّاتها مثقّفة أو على مستوى من الوعي المعرفي والشمول الذي يعطي للقراءة فاعليّتها، وهنا قد لا تكون الأفكار الفلسفيّة المبثوثة في الرواية وحسب الناقد(سالم آل تويه) تمثّل أي قلق من تحول الرواية إلى خادم للفلسفة، إذ لا تصبح الرواية هامشيّة للمتن الفلسفي إلا إذا شابها الطابع التعليمي(8)، وهذه الظاهرة صارت بمثابة خيط يربط بين مجموعة من المفكّرين والفلاسفة وغيرهم من النقّاد، إذ نستطيع أن نقول عنهم اليوم وحسب (د.عبد الرزاق الدّواي) أنّهم شكّلوا تياراً فلسفيّاً إشتهر في الفلسفة المعاصرة بإسم (تيار فلسفة موت الإنسان)(9)، فيه عرضت الرواية وضمن ما تناولته الكثير من الدراسات النقدية والبحوث إبراز الوظيفة الفلسفيّة التي عبرت عنها الذات الكاتبة وربطتها ضمن موضوعات وقضايا فلسفيّة مرتبطة بنظرتها لأناها وعلاقتها بالوجود والمجتمع المحيط بها، والتي من أبرزها:

1- فلسفة الموت التي تتأرجح بين كره القدر والإستسلام له.

2- علاقة الأنا/ الذات بالآخر(الغرب) إذ صوّرت الرواية تلك العلاقة بايجابيتها وسلبياتها من خلال النظر إلى الذات ومستوى علاقتها بالآخر ومدى تواصلها معه أو عدم التواصل مع الآخر، ورغبة القارئ المعرفيّة بالإطلاع على هويّة الذات العربيّة كما صوّرتها الرواية في تنوّع وتعدّد الأساليب والإشكاليّات التي تخص إستراتيجيّات الكتابة في عرضها للموضوع بطريقة تكسر المسافة الموضوعيّة وتمارس الإنتقاء والوصف والتحليل والتفسير، وتتضمّن مجموعة علاقات يمكن توزيعها إلى" علاقات داخلية تبقى مشتغلة داخل الخطاب ومكتفية بعناصره الذاتيّة، وعلاقات حواريّة تشد الخطاب إلى عوامل إنتاجه وتجعله فعلاً خطابيّاً ديناميكياً وملتحماً بشروط تداوله" (10)، وعليه تحدّد الدراسات المنضوية تحت

هـذا الخطـاب التعاقـد الثقـافي الـذي يخـوّل للناقـد والمتلقّـي معـاً إمكانيّـة التفـاهم والإخـتلاف وتحقيـق الحـوار، والناقـد إذ يحـدد علاقتـه بالموضـوع يتجـاوز ظـاهره؛ لإثبـات شـئ يعتبـره أصـلاً خفيـاً أو معنـىً غائبـاً، مستعينا فـي سبيل ذلـك إسـتثمار علاقة الموضوع بموضوعاتٍ أخرى والتي منها الموضوعات الفلسفية.

- الموت (موضوعا فلسفيا):

يرى بعض النقّاد والباحثين ومنهم الناقد(هيدجر) أنّ الموت وضمن نطاق الفلسفة الوجوديّة "كامنٌ في تركيب الوجود الإنساني، باطنٌ فيه منذ كينونتهِ حتى النهايـة التـي يبلغهـا، مـا يجعـل فيـه إمكانيّـة عـدم الوجـود فـي العـالم أو إمكانيّـة إستحالة كل إمكانيّة.. بقدر ما تبنّت في تصميمها نحو الموت تحقيق الحريّة من أجل الموت وتؤسّس نفسها ككل من خلال الإختيار الحر للتناهي، أي أنْ تجعل منه وجوداً متناهياً "(11)

ويوجّه (سارتر) موضوع الموت فلسفيّاً ليجعله "خارج نطاق الإنسان، وأنّه حـادثٌ غيـر ضـروري لا تسـتطيع الـذات أو الوجـود مـن أجـل ذاتـه أنْ تنتظـره أو تحقّقـه أو تقـذف بنفسـها نحـوه، فهـو واقعـة كصـرخة الـولادة تأتينـا مـن الخـارج وتغيّرنا... والموت في ذلك ليس هو السبب في فناء الإنسان، بل الوجود الإنساني متناهٍ بطبعهِ والإنسان حتى لو أصبح خالداً سيبقى متناهياً من الناحية الوجودية "(12)، أما (ألبير كامو) فيرى في الموت " إعترافا وُلد بالغريزة بإنعدام وجود سبب معقول لإستمرار الحياة"(13)، وهذه الرؤية قد دفعت بالناقد (د. زكريا إبراهيم) إلى أن يحد الموت ويضعه ضمن إطاره الفلسفي على أنّه "ذلك الحد الذي يضع للحياة خاتمة حتى تكتمل، إنّه اللمسة الأخيرة التي يصبح بعدها العمل الفني موضوعاً جمالياً متحققاً، ولو كانت الحياة مستمرّة لا تعرف لها نهاية لكانت جهداً عابثاً لا معنى ولا غاية"(14)

إنّنا إذا تتبعنا موقف الإنسان وفق هذا الطرح ونظرته للموت، نجده قد وقف موقف الذهول والحيرة، فهو لا يعرف كيف يرد على هذه الحقيقة، ولا كيف

يدفع عن نفسه هذا الأمر، كونه الخاتمة الأليمة التي لا بدّ أن تُقبل، وهو وعلى الرغم من يقينه بحقيقة الموت وأنّه واقعٌ لا مفرّ ولا مهربَ منه وقدرٌ لا رادّ له، وقد نراه وفق هذه الحقيقة يبحث فلسفةً للوجود وموقفاً للحياة، هي بالنسبة له تمثّل حالة إغتراب أقلقت وضعهُ وأشعرتهُ بهشاشة وجوده، إذ في الموت قضاء على كلّ فعلٍ ونهايةٍ للحياة، وهذه النهاية ستكون بداية عودة الفلسفة في ظل التفكير الذي لم يعد ممكناً إلا في داخل الفراغ الذي يتركه وراءه الإنسان المندثر.(15)

وهنا لا يخفى مقصديه الوعي الذي يوجهه الكاتب(الطيب صالح) من خلال فعل الكتابة، إذ يسعى ومن خلال ذلك إلى توظيف مجموعة من العناصر ودمجها ضمن خطاب فكري وآخر فلسفي واسع الأفق ومتنوع المرجعيّات ومولدا لتأويلات لا تكاد تُحدْ، تعني في إستنطاق ذاتيّة الإنسان العربي في أحلامهِ وانهزاماتهِ وانكساراتهِ واحباطاتهِ، وتصوير مجاهل روحه المتمزّقة والإنفتاح على ما يسميه الناقد محمد برادة (الكينونة المتكلّمة)(16)، إنفتاحاً متحرّراً يقع خارج أسيجة الواقع والمقتضيات الإجتماعيّة والفكريّة والفلسفيّة، والإرغامات الإيديولوجيّة، وهذه الروابط الدقيقة المعطاة وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة نجدها تجمع بين ما ينتمي إلى العالم الفعلي وبين ما يأتي من العوالم الممكنة التي لا تحكمها غاية مرئيّة أو متوقعة تؤطر المخيال وتشير إلى عنوان الموت ضمن أفق يتوازى مع الحياة ويرسم حدود الخطاب الذي سيتحرك داخله موضوع الموت موضوعاً فلسفياً يحدّد عمق الممارسة النقدية ويكشف الموجّهات التي يريد النص أنْ يسرّبها في غفلةٍ من القارئ، إنّها معرفة يوجّهها الناقد (سعيد بنكراد) في أنّها " تقود في المقام الأوّل إلى النص ذاته، إذ النص كيان له عمقٌ وإمتدادٌ وأطرافٌ، إنّه مكوّنات لا يمكن فهمه بدون التعرّف على هذه المكوّنات وتعيينها ووصفها وتحديد العلاقات الممكنة بينها "(17)، وهذه المعرفة نجدها تُلقي الكثير من الضوء على النوايا المبطّنة لموضوع الموت في الرواية موضوعاً فلسفياً يجعل النص خزّانا لمعانٍ لا يمكن الكشف عنها إلا من خلال إستراتيجيّة تحوّل نص الرواية إلى سلسلة من

القصديّات التي تتحقّق عبر سيرورات تأويليّة منتقاة بعناية، وبعبارة أخرى يتعلق الأمر بالكشف عن الطريقة التي تنتظم وفقها المضامين المتجسّدة لفلسفة الموت في الرواية ضمن سياقات تشكّل مدخلاً مميّزا للكشف عن سيرورة النص وتشكّله، وأشكال تجلّيه ضمن المُتاح المعرفي الذي وفرته مجمل الدراسات والبحوث والقراءات التي تفترض وجود ناقد وقارئ ضمن علاقة تجعل من الناقد في موقع المتعالي إزاء الموضوع، ممّا يخوّل له إصدار الأحكام لإثباتِ رأيٍ أو موقفٍ أو حكمٍ بصدد الموضوع بحيث تتحدّد هويّته وقناعاته ومستواه الذهني وتشتغل في مجال محدّد تعبّر عن نموذج فكري وآخر فلسفي، وهنا يباشر الخطاب النقدي علاقته بالموضوع ويحتفظ بخصوصيّتهِ التي تنبع من شرط الملائمة الذي يوجّه أفعال الخطاب في إتّجاه مجال الخطاب كإنتاج معرفة يسعى محلّل الخطاب إلى تبيينهِ ووضعهِ في موقعهِ المناسب، ويتم ذلك وحسب ما يرى الناقد (محمد الدغمومي) ضمن مستويين: (18)

1- مستوى التصريح: أي مجموع القناعات التي يعتقدها الناقد ويعمل الخطاب لتوظيفها.

2- مستوى اللاوعي: يتخلّل الخطاب النقدي ويخضعه بصورة غير مباشرة خِفْيةً إلى إتّجاه من إتّجاهات الوعي الإجتماعي والفلسفي، بحيث يتسلّل عبر الخطاب ويترك آثاره بإفراز علاقات وقرائن تستوجب حضور المعرفة وإستعمالها في علاقة الموضوع بالفلسفة والتي تقترح عددا من المبادئ قد تكون متحقّقة بصورة ضمنيّة في بعض الدراسات النقديّة التي تناولت موضوع الموت في الرواية موضوعاً فلسفياً في مساحة من الوعي والتخطيط لتمنح إمكانية بحث الموضوع داخل شروط التواصل، ومعالجة مجموعة أنظمة تنشط في الخطاب وتحدّد فاعليّته إزاء نفسه وإزاء السياق الذي يعمل فيه، والذي يمكن التعرف عليه استناداً إلى قُدرة المحلّل أو الناقد في الكشف عن الظاهر أو المستتر ضمن العوالم الدلاليّة التي يبنيها النص، والكشف كذلك عن العِلل

الدفينة في ذات الكاتب أو محيطه، وحالة الصراع بين حركيّة وظيفيّة وسكونيّة دلاليّة، وعليه يقوم المعنى هنا وبحسب الناقد (سعيد بنكراد) بـ "منح الموضوع وصفاً ثابتاً، يحوّله إلى كيان مكتفٍ بذاته ويمنحه موقفاً خاصاً ضمن ما يمكن أنْ نسميه مشهداً حيّاً داخل المخيال الإنساني" (19)، وبإعتباره إنتاجا لمعرفة مشحونة بالاحتمالات والتساؤلات المعبرة عن طبيعة الموضوع الذي يرتكز في مجمله على وقائع ومقتربات تدلل على مفهوم الموت من قتل وانتحار ومرض، تشكل وحسب الناقد(د. سعيد الهارف) مفهوم الموت بصفة عامة.(20)

إننا إذا تتبعنا مفهوم ذلك عند الناقدة (يمنى العيد) نجدها تنتقد ذلك التحليل واصفة إياه بالميكانيكية والتجريد؛ كونه يسقط الموقع الذي منه ينهض القول، والذي هو بدوره نطق الفني ولعبته الإيهامية، وتتبع الناقدة ذلك في قولها "ثمة موقع يتحكم بموقع الترابط هذا، موقع حاضر في أثره في النص؛ لأنه خفي من موقع يتحكم بها، ليس مجرد تماسك ولا مجرد آلية بل هو نطق الإيديولوجي في المجتمع، نطق يخلق فنيته..."(21)، والناقدة في ذلك نجدها وفي موقع آخر تربط مسالة موت مصطفى سعيد بمفهوم التملك والذي تجده تملكا وهميا من جانبه وتقدما لماضيه الذي هو تاريخ علاقته بوطنه، وفيه يتقدم الوعي فيخلخل ماضيه وإحساسه بالتملك بوصفه وهميا، ومصطفى سعيد يسلك تجاه ذلك طريقا ملتويا أراده أن يكون سريا ومستقبليا في نفس الوقت، وحين بدا ذلك السري واضحا للعيان مات مصطفى سعيد، وبدا بموته أكذوبة،وهنا نتساءل هل كان مصطفى سعيد مرغما على مثل هذا السلوك؟هل من شروط تاريخية أو نفسية تحكم هذا السلوك؟ ومهما يكن من أمر فان سلوك مصطفى سعيد في مصارعته للموت كنهاية يلعب فيه الزمن لعبته ويكشف عن نهاية أليمة ينتهي فيها نهاية مأساوية، وموت مصطفى سعيد وضمن ما تتبناه الناقدة يمكن أن نصنفه بكونه موتا وظيفيا بالنسبة للآخر وبداية ولادة يقظة عند الراوي وانكشاف السر الملتوي الذي يفضح

تملكا آخر ربما يمثل أكذوبة أخرى بالنسبة للراوي أو نهايته التي تتضح في أنها نهاية مفتوحة ، وهنا نتبين إيديولوجية الكاتب(الطيب صالح) في طرحه لموضوع الموت يبحث فيه أحداث ووضعيات تستوعب المعنى وتمنحه بعدا فلسفيا، تبقى وبحسب الناقد(حميد لحمداني)(22) خفية تتحرك بسرية بين الإيديولوجيات المعروضة، تتأثر بالانفعال والتوتر المتدفق داخل نفسية الأديب؛ بسبب تأثره بالواقع المحيط به،والذي يتأسس على رؤية متعددة وجودية معرفية متباينة أبعادها موجودة في أي خطاب مهما بلغ الحيادية والتجريدية أو السطحية والمباشرة، وهذه الرؤية تجعل دلالة الموت تحتمل أمرين :

الأول- أن الموت يمثل في جوهره قطيعة عن المعاني المتعارف عليها، فهي أصبحت وحسب(ادونيس) غير مؤهلة لان تتواجد بصفاتها الطبيعية في فضاء مشحون يؤدي إلى انمحاء كل ما هو مادي حاجب، ومن ثم فانه من المناسب وحسب هذه الرؤية أن نبحث باقتضاب ما قدمته حقيقة الموت للفلسفة، والمدى الذي يمكن الذهاب إليه في القول بأن الموت هو موضوع التأمل الفلسفي بل وعبقريته الملهمة(23) .

الثاني- أن الموت في حد ذاته يُملي على المعاني التي تتواجد فيه تحولا طوعيا تحدثه المعاني من تلقاء نفسها؛ لان الفضاء الجديد الذي بدأت تعيش فيه يتطلب منها تكيفا يجعلها مألوفة للأشياء من حولها ومناسبة لتنشيط مخيلتنا ودفعها إلى تصور اللامتناهي.(24)

إن هاتين الرؤيتين بما تحملهما من دلالة نجدهما تتمثلان الموت (موضوعا فلسفيا) قناعا يخفي نشاطا أكثر عمقا وأقوى مغزى، يقدم لنا مفتاحا في اكتشاف البنية المختلفة عن الواقع في استبصار البنية الأساسية للفكر البشري وفقا لقوانين العلل الفاعلة وتغييرات الأجسام والظواهر الخارجية لها، وهنا يتبين لنا ومن خلال الناقدة أن الموت عند مصطفى سعيد لا يعدو أن يكون سوى لحظة التحرر من أحادية الفردية موقعا يعبر عن الحالة الداخلية للشخصية (جوهرا داخليا) يتحدد

عنده بوصفه نشاطا وتحليلا للمعرفة والوجود في آن واحد، وممارسة رمزية تصاغ بواسطة اللغة أي بالرجوع إلى إشكالية التنشئة والمحددات الاجتماعية والثقافية التي تؤثر في النشاط الاجتماعي وفي السياق العام(25)، وعليه يتخذ الموت ومن خلال هذا الخطاب آلية من آليات النهوض والتقدم والتي تظهر أداة فاعلة في إطار معركة مصطفى سعيد مع جين موريس، معركة يلتقي فيها الحب بالحقد الذي يستبد بمصطفى سعيد ويلازمه ملازمة الشخص لظله طيلة سنوات قضاها وهو يطارد فريسته ويفعل كل ما بوسعه من اجل الإيقاع بها، لتنتهي أخيرا تلك المطاردة بفعل الموت كمحصلة لآلية النهوض وتقدم مصطفى سعيد على الغرب وإظهار هيمنته وسيطرته رمزيا عليها، تجسد التفوق الذي عبر عنه من جهة واثبات للحضور وتغييب لفعل النفي والرفض من جهة ثانية ضمن نزعة مشحونة بألفاظ تدلل على حقل معجمي يرتبط بالموت في أبعاده الرمزية ومعانييه ودوافعه من وفاة وقتل وانتحار ومرض في بناء تتناغم وتتناسق فيه الأحداث في صور مثيرة لنساء يستسلمن بشبق ويغوين بتمرد، وينتحرن بصمت محير،لغز الموت هذا هو الذي يلقي بظله وحسب ما نجده على جو الرواية فنصبح مع الكاتب كأننا نسير في سرداب مظلم يضئ مصباحه في أي مكان شاء ونرى قطعة من الأحداث ليعاودنا الظلام والضياع من جديد في البحث عن هذا اللغز الذي يبحث ظاهرة القتل والانتحار دلالة ذات بعد حضاري يصنع التناقض والصدام، تكدست فيه الجثث وامتزجت فيه أجساد أوربية وسودانية.

من هنا تنطلق الناقدة(ربيعة العربي) لترسم حقولا معجمية توظفها نموذجا في ضبط البنية المعرفية المؤسسة لموضوع الموت في الخطاب الروائي عند الطيب صالح، وضبط آليات اشتغاله إنتاجا وتأويلا، تتضح من خلال المقاطع التي ترسم حقولا معجمية فرعية تتمثلها الناقدة ضمن محور(أشكال الموت في الرواية) تتمثل في: (26)

1- موت لا ذكر فيه لسببه (يولدون ويموتون، تذكرني بمن مات، مات أبي، جدك عاش وسيموت...).

2- موت بسبب المرض (زوجها مات بسبب التيفوئيد..، مدينة قتلها الطاعون..، ...).

3- موت بسبب القتل (كل شئ فعلته بعد قتلها كان..، هل قتلت جين موريس؟ نعم قتلتها.، قتل زوجته..، تقتلون الأكذوبة..، دفعته الظروف إلى القتل..).

4- موت بسبب الانتحار (هل تسببت في انتحار آن همند؟..، تسببت في انتحار فتاتين..، يظن أن شيلا غرينود تُقدم على الانتحار..، كان انتحارهن بسبب..، مات ربما انتحارا..، حوادث انتحار النساء..).

5- موت بسبب الغرق (انه مات غرقا..، لقد مات غرقا..، عشرات الرجال ماتوا غرقا..).

6- موت بسبب الجرثوم (هاتان الفتاتان قتلهما جرثوم..، كان يقتلني في طِلابها الشوق جرثوم مرض فتاك..، تحمل جرثوم المرض في دمها..).

إنّ ما نلمسه من توظيف الناقدة لأشكال الموت في الرواية والتي تدلل عليه مجموع المقاطع المشار إليها تتراوح بين موت لا سبب لذكره، وقتل وانتحار ومرض، نلمس من خلالها تحولات وتطورات في طبائع شخصيات الرواية وأفكارهم وممارساتهم، وعلاقاتهم التي تتمايز بين الظاهر والباطن وتقوم على الوصل والتباين والاختلاف ترتبط باللاوعي أكثر من ارتباطها بالوعي، وباللاشعور أكثر من ارتباطها بالشعور، تحيل إلى (متعلقاّت)(27) ترتبط بالموت تكشف عما يحمله في ثناياه من أسئلة واكبت قلق الشخصيات في الرواية، وكشفت عن حقيقة تتضمن أن مصير الشخصيات بكل حمولته هو مصيرنا، ما لم نأخذ المسافة الضرورية بين ذواتنا وبين ما يسكنها من أحلام مرشحة لان تتحول إلى أوهام قد تكون قاتلة تعبر عن المأساة في الرواية وتجسد الموت في اغلب شخصياتها– وان كانت صيغ الموت تختلف من شخصية إلى أخرى– وتعمق مظاهر التمزق

والضياع، وتقوض أهم ركائز الشخصية الإنسانية المتمثلة في العقل والوعي والإرادة، إضافة إلى ذلك نجدها تعكس الكثير من التحولات المادية والنظرات الفلسفية المتحولة والتي قد تنطوي على سر مغلق ولغز يستعصى فك شفراته، يصعد من القيمة المعرفية والدلالية للموت وتطرح إشكالا مفتوحا على أكثر من تأويل في إطار ما يسميه(تيري ايجلتون) " ثنائية الوهم والتخييل "(28) التي تحيل على فكرة الصراع بين التناقضات والتحولات، وتستحضر بوعي ملحوظ من حيث بنيتها لبنية يمكن أن نسميها مجازا بنية القلق والتمزق في ظلها كان مصطفى سعيد يعيش في كل لحظة موتا رمزيا مصاحبا له أمام وطأة الإحساس بالذنب وليعيش ضياعا مزدوجا، ضياع مطلق على مستوى الجغرافية، وضياع مُتعِب على مستوى الفكر، يتمثل فلسفته الخاصة في رؤيته للوجود والأشياء والرغبة والخوف والإحساس بالانهزام والهذيان وتشظي الزمن ومناجاة الذات وتفتيت اللغة وتذويب المكان وإعلاء شأن الموت، هي مفردات حياتية لقضايا فلسفية تعلم الإنسان الحياة وتعلمه الموت أحيانا.

أمّا الباحث (أحمد الزعبي)(29) نجده يرصد أحداث الحياة والموت في الرواية ويجدها ستة أحداث تتمثل الموت وجهة فلسفية تترك بصماتها على الرواية وتدخل في مواجهة صعبة مع أسئلة الوجود لتمرير أفكار معقدة ومعلومات متباينة نجد فيها حضورا لانساق فلسفية ضمن حبكة النص الإبداعي الروائي في مقامه الأول، تتمثل في: موت البطل/ مصطفى سعيد، موت النساء الأوربيات(آن همند، شيلا غرينود، جين موريس، إيزابيلا سيمور)، موت حسنة بنت محمود، موت ود الريس.

يرى الباحث- ونتفق معه في ذلك- أن مأساة مصطفى سعيد تكمن أساسا في انه لم يجد المعاملة الإنسانية الطبيعية، فهو وعلى الرغم من تفوقه على الأوربيين ووصوله إلى أعلى المراتب العلمية إلا انه بقي في نظرهم ذلك الرجل الأسود الإفريقي تحقيرا لإنسانيته وتقليلا من قيمته، فعبارات جين موريس تذكره

بجوهر المأساة وتدفعه إلى فعل القتل بقوة وتصميم، لذلك ارتأى أن يكون جزءا من العالم المزيف المتهاوي الشرس الذي يعيشه الغرب حسب رؤيته لهم، وما دام هذا العالم مجرما قرر أن يكون جزءا من هذا الإجرام، وهو وفق رؤية مقاربة للباحث نجده يمتلك القدرة على الخلق لا تضاهى، إذ أجاد في خلق عوالمه أيما إجادة في لندن أو في السودان، إلا انه لم يتمكن من خلق انسجام وتوافق بينهما، ونتيجة لتصادمه مع هذه العوالم وتعقد موقفه يقع في تناقض مع المجتمع ومع نفسه لينهار العالمين بسبب ذلك التصادم، وليجد الانتحار أو الاختفاء سبيلا في الخلاص ومبحثا ونهاية لصورة الموت في الرواية، وعليه نجد ردة فعله في الحالة الأولى قويا وعنيفا أدى به إلى ارتكاب جريمة القتل كردة فعل لقوى التصادم تلك، وفي الحالة الثانية آثر الاختفاء وعدم المواصلة ليقف وسطا بين عالمين متناقضين(عالم الواقع، عالم القناع) اتخذهما وسيلة لنهاية نجدها درامية بمعنى الكلمة، وزعزعة للمفهوم التقليدي السائد عنه بما يمثله من نقطة اللقاء بين قناع البطل وواقعه من جهة، ونقطة النهاية في مسيرة حياته من جهة أخرى، وهو في ذلك لم يكن بمقدوره تحاشي هذا الصدام في كلتي الحالتين على الرغم من محاولاته لكنه لم يفلح، ورؤية الباحث هذه نجدها قد حملت دلالات غير منتهية التشكيل لا حدود لها ضمن نواة متحركة يبني عليها نسيج الموضوع وتتحول فيه المفردات(مفردات الموت) إلى مدلولات موازية تتحكم بالنص وتستدعي التأويل، وتظهر العلاقة بين موضوع الموت مبحثا فلسفيا، وسلوك الشخصية المحكوم بمحددات اللاشعور واللاوعي، وهي حسب الناقد (جاك شوروت) تتمثل في جوانب : (30)

الأوّل- أن الموت يمكن أن يكون مصدر الهام للفلسفة وقوة الدفع الكامنة وراء التفلسف الذي يهدف أساسا إلى السيطرة على الخوف من الموت(31)، أي أن انفتاح الموضوع في الرواية على هذه الأشكال تكشف عن الطابع الفني

لموضوع الموت في الرواية ومحدداته النفسية والاجتماعية والإيديولوجية تشكل في مجموعها خصوصيته التي تميزه عن غيره من الموضوعات.

الثاني- يمكن أن يكون الموت وحسب ما نجده من توظيف للباحث يعبر عن رؤية أو أداة للفلسفة التي تزعم أنها وحدها القادرة للوصول إلى فهم الوجود والكشف عن طبيعته في إقامة صورة تشكل في محتواها مظاهر الخوف والقلق وانعدام الحريات.

الباحث ومن خلال هذه الجوانب يتحرك ضمن واجهات تؤطر لموضوع الموت موضوعا فلسفيا يتحول من خلاله الجسد الإنساني إلى قطب محرك وطاقة فاعلة في البناء الروائي، وهو يبحث ومن خلال تلك الطاقة عن حالة الرواء والإشباع القصوى التي تسمح له بان يتوحد مع العالم فيلجأ إلى الموت وسيلة للخلاص ونتيجة للفراغ الذي تركه غياب حضوره المتزامن لطرفي التواصل بين عالمين، وممثلا لمرحلة جديدة، مرحلة تأسيسية لخطاب جديد وفلسفة جديدة، إنها فلسفة دق أجراس الموت.

أما الناقد(جورج طرابيشي)(32) نجده يطرح موضوع الموت- موضوعا فلسفيا- عند الكاتب من خلال فعل القتل الذي تمارسه الشخصية، ذلك التحول الحاد الذي ساعد في التفكير الميتافيزيقي على سيطرة الرؤية الفلسفية على الموضوع، ينغمس في نشاط يقاوم الموت بطريقة مزدوجة، يدفعه إلى التفكير فيه ويحل التناقض الذي يطرح نفسه بالعديد من السبل متعددة الجوانب وشديدة التعقيد، وهنا يتساءل الناقد طرابيشي لماذا قتل مصطفى سعيد جين موريس في اللحظة التي امتلكها فيها؟ ربما كانت الإجابة انه أحبها بطريقة معوجة فكان لا مناص من أن يمتلكها بطريقة معوجة أيضا، وهي حين دعته إلى الموت معها رمزيا، أي الفناء فيها عمليا تردد وجبُنَ، كان يريد لنهايته أن تكون في الشمال نهاية الغزاة الفاتحين، لكنه ما استطاع وصولا لهذه النهاية فقتلها بدلا من أن يفنى فيها، وبقتلها اكتشف انه لم يمتلكها قط ولم يمتلك من قبلها(آن همند، شيلا

غرينود، إيزابيلا سيمور) بل مثل دور الامتلاك ليكتشف ومن هذا الفعل حقيقته، حقيقة انه أكذوبة وانه وهم.

ما نجده من هذا الطرح غموضا ورغبة مستميتة بدأت تتكشف من خلال فعل القتل القائم على مفارقة الاختلاف ما بين تجربة الشخصية من جهة، وتجربة الكاتب من جهة ثانية يرسمها لنا ويفككها أمام أعيننا وعلى مدار السرد، ويشخص مجموعة الاستجابات وما يصاحبها من مظاهر انفعالية وانعكاساتها على القارئ في إطار تفكيري وتصور ذهني لما يتحدث عنه، وتلك مزية في الرواية فعلاقة مصطفى سعيد بجين موريس لا تتجاوز ما روي على لسانه، انه رآها فطاردها ولم تكن به شهوة للدم، لكن لغز الموت نجده يُلقي بظله على جو الرواية بطريقة تخدع القارئ، ويحول شبهة القتل إلى جين موريس في انه هل كان لها ومن خلال ذلك اللغز شهوة للموت؟ إلا أن السيطرة على هذه الطريقة وتحويلها إلى سرد عفوي يدلان على موهبة مدهشة مع بساطة في الأسلوب والحوار، وهو في فعله ذلك نجده لا يبحث فقط عما تقوله الأساليب الفنية في صياغة موضوع الموت فلسفيا بل يبحث عما يختفي وراء هذه الأساليب من الغائب والمسكوت عنه، ونحن نسلم به ولا ننكره، نتوقعه ونعترف بحتميته.

وفي موضع آخر نجد الناقد (جورج طرابيشي) يحيل كل ذلك إلى وجود عقدة ملازمة للشخصية يقدمها ومن خلال التحليل النفسي تحت مسمى(عقدة الدونية والانفصام بين العقل والروح) لشخصية تجمع بين غريزتين هما: (غريزة الحب، وغريزة الموت)، من دون أن يكون واعيا لهذا الانفصام وهو ما يفسر رغبته في الانتحار، وهذا التحليل الذي يقدمه الناقد يقودنا إلى دراسة دوافع التعويض عند مصطفى سعيد مما يفسر سر اختفائه في نهر النيل والغموض الذي صاحبه، وهذا يقودنا إلى معرفة التجليات الفنية للعقد النفسية بما يتجاوز الفردي إلى عِصاب إيديولوجي يتحكم بالطريقة التي تعبر عن سلوك مصطفى سعيد والشخصيات

الأخرى بما فيهم الراوي ودوره الذي يمثل جزء من إرهاصات التحولات العميقة للشخصية وبما عانته من انقسام بين الروح والعقل.

هكذا قدم الناقد طرابيشي وضمن رؤى متفاوتة تكشف عن الطابع الفني للموضوع وموحياته النفسية والاجتماعية، وتفسير العقد والمكبوتات تفسيرا نفسيا فرديا وجماعيا، تستقطب مئات الصور الذهنية التي تستدعيها المؤثرات الخارجية والداخلية المرتبطة لاشعوريا بالجسد، وهذا من شأنه أن يزرع النص بعوامل الإثارة والترقب مصحوبة بالقلق والخوف ضمن سلسلة من الألفاظ مشفرة يرسلها الكاتب ويقوم المتلقي بحلها ويستمد إيديولوجيته من المضمرات النصية التي تتحرك وبحسب الناقد(د. عبد الله إبراهيم)(33) بين الإيديولوجيات المعروضة يخلقها ويعيد إنتاجها ويقدم تفسيرا لطباعها وأمزجتها ومصائرها، فضلا عن وظيفتها الإيهامية بحقيقة الموضوع والمحددات الاجتماعية والثقافية التي تؤثر فيه، نلمس ومن خلالها اضطرابا يندفع من كتابة تمارس الغوص داخل باطن يتألم ولا يمكن أن يعبر عن نفسه إلا من خلال أشكال مكثفة تبدو مفككة حينا ومتصدعة حينا آخر، ولا في كونه ذاتاً قاصدة وواعية متحكمة في نفسها ومواضيعها الخارجية، وهنا يتضح المعنى التأويلي للموت في انه يحول مناطق الفشل في الرواية إلى انتصارات مموهة وعاجزة عن تقديم الأجوبة المقنعة عن أسئلة الواقع والتي لم يتحقق منها شئ، ومن هنا نجد أن الناقد(طرابيشي) حين اختار سرديا الاشتغال على موضوع الموت من حيث بعده النفسي والاجتماعي عنوانا صريحا لحاضر تطوقه الأسئلة التي واكبت قلق الشخصيات طوال الوقائع التي شكلت بنية الرواية من جهة، وتجعل الزمن من جهة ثانية يكشف عن حقيقة أنّ مصير تلك الشخصيات بكل حمولتها المفجعة هو مصيرنا جميعا، والخيط الناظم بين اغلبها هو حضورها القلق والمثقل بأسئلة الواقع مما يسمح لنا بالقول بأنها تنتمي لبنية نسميها مجازا (بنية القلق والتمزق) تشعر ومن خلالها الشخصيات بتصدع داخلي سحيق وتعاني من فراغ، إنها ضائعة من جهة وواعية بضياعها من جهة ثانية،

ضياع في الزمان، وضياع في المكان، وضياع في الذات، تشعر ومن هذا الضياع بالألم، والإثم يسكنها لذلك تكون اختياراتها ومواقفها مسكونة بفعل الموت للتخفيف من ذلك الإحساس، حالة من الرفض يبدو فيها الموت وبدلالاته الواسعة هو المعْلَم الرئيس الذي يمكن أن نصفه بالفعل المحرك الذي يصعد من القيمة الفلسفية والمعرفية والدلالية للرواية.

ومن وجهة أخرى تنطلق الناقدة (فوزية الصفار)(34) في الحديث عن موضوع الموت في الرواية وتحرره من القيد التخييلي الصرف حينما تدفع الواقع إلى أفق التخييل مرة وتقوم في مرة ثانية بإضفاء بعد واقعي على المكونات التخييلية من اجل تعميق الوهم القائم على المفارقة، وهي في فعلها ذلك تسارع الخطى في إضفاء شبكة دلالية معقدة تربط ومن خلالها الجنس بفعل القتل، لتشكل خطابا معارضا يكشف النسيج الاجتماعي العربي والذي يتكور كلما كان المحمول جنسيا، وكأن القارئ هنا مقبل على مشاهدة تجربة جنسية لا جريمة قتل تتجاوز المألوف والعادي، لكنها لا ترتفع به بل تتصل في جوهرها بالعوامل الموضوعية التي تحدد الملامح الأساسية لموضوع الموت في الرواية، تشكل فيه المرأة الهاجس الذي يقود البطل إلى هدفه انطلاقا من منظور اجتماعي- إيديولوجي معين يتحدث عن الجنس ويربطه بخلفيات ثقافية واجتماعية تتجسد فعليا في إيحاءات ونداءات تعبر عن لحظات من القلق والتوتر،مصحوبة بنشوة قاتلة غايتها إخضاع الضحية ودفعها للموت أو الانتحار.

إنّنا إذا أخذنا بعين الإعتبار هذه الرؤية التي تقدمها الناقدة وموقفها من ذلك، نجد رسما بيانيا لدرجات التوتر وأشكال التعامل معه، والتعبير عن الفجوات التي يعاني منها الشعور بالانتماء والتذبذب في ضبطِ بُوْصَلتهِ، ويمكن أن نفهم ونفسر في ضوءه كثيرا من التحولات والاصطدامات بين كل من مصطفى سعيد وجين موريس، والتي ستفتح لإمكانية استنتاج صيغة لواقعة فعل القتل الذي يمارسه مصطفى سعيد والذي ينبع وحسب الناقدة من ثنائية الوعي واللاوعي، هو مصاب

بـ (السادية) يعذبها ويستلذ بتعذيبها، في حين هي الأخرى مصابة ب (المازوشية) تستلذ بتعذيب نفسها، لاوعيها يدفعها إلى الإقبال عليه وتتجاوب معه أحيانا، وفي وعيها هو في نظرها إفريقي اسود لا يمكن أن يرضي غرورها، فتشعر نحوه بالاحتقار وترفض الدخول معه في إقامة علاقة إنسانية صحيحة تزيد من تمنعها وإعراضها عنه، ويزيد من جانبه إقبالا عليها وإصرارا على قتلها، وعيه يريد امتلاكها وقتلها معا ولاوعيه يحتم عليه النيل من أنوثتها والتمكن منها قبل قتلها، وهنا– وهذا ما يؤكد رؤية الباحث(عدنان حسين احمد)(35) في أنّه يجسّد العبث واللامعقول الذي يبدو واضحا في امرأة تتجاوب مع الموت وتتحول فيما هو أعمق إلى ما وراء الوعي ضمن سلوك يرتبط بدوائر اللاوعي أكثر من ارتباطه بالوعي، فدعته إلى الموت معها والفناء فيها، لكنه ما استطاع وصولا إلى ذلك فاغمد السكين في صدرها وهي تستحثه على تنفيذ هذا القرار، وهنا تتحول النزعة السادية المحمومة عند جين موريس إلى رغبة ماسوشية فتاكة قضت عليها في آخر المطاف، إذ يشرع النص في إدلاء شفرنه التواصلية التي تدعونا إلى التأمل والتفكير واكتشاف مناطق اللامعقول والخفاء داخل النص.

ويرى الناقد (محمد عزّام)(36) وبحسب المتغيّرات السيكولوجيّة لكل من مصطفى سعيد وجين موريس، انه كان لا بد من أن يقتلها وتحديدا في اللحظة التي امتلكها فيها، أو مثَّل دور الامتلاك، والناقد إذ يعلل ذلك قد نتفق معه في طرف ونخالفه في أخر، من أن حياة مصطفى سعيد قد اكتملت وربما لم يكن ثمة مبرر للبقاء، وعليه فإن ما طرح يمثل إشكالية تتمثل موقف الشخصية الإشكالي الذي لم يكن فيه فردا بل هو يمثل جيلَ وضميرَ أمته، وجريمته التي ارتكبها تجاه زوجته الأوربية تفقد معناها إن لم تحتل مكانها في سياق حضاري، وما يؤكد ذلك رؤية الناقد (شجاع مسلم العاني)(37) من أن دافع القتل عند مصطفى سعيد هو الثأر من تلك الحضارة التي انتهكت سيادة بلاده واستعمرته فترة من الزمن، ولم يكن بداعي الكراهية– ونحن نتحفظ على ذلك– أو فقدان القدرة على الحب، وهنا

تمثل جريمة القتل عنده قمة مأساته التي لاحقته فيما بعد ودفعته إلى الاختفاء والذوبان في نهر النيل والانحلال فيه، فلم يجد من بد إلا إفناء ذاته والخلاص من تأنيب الضمير.

إن تفسير النص ضمن رؤية الناقد لفعل القتل نجده ينطوي على تجاهل الكثير من القرائن المعنوية والسلوكية لمصطفى سعيد، منها ما اتسم بالالتواء والمخادعة والمرض نتيجة صراعه مع ذاته الناتج من اللاشعور الفردي والذي يتضخم فيه فيطغى على شخصيته، بل ويجعلها تتقمص ذلك الشعور وتتصرف على انه تجسيد له.

وفي موضع آخر يغاير الناقد موقفه من ذلك ويذهب إلى القول أن مصطفى سعيد لم يكن قاتلا وانه يلقي بفعله ذلك وتبعيته إلى جرثومة العنف الأوربي والذي يراها ملازمة لأوربا منذ ألف عام، وما نجده خلاف ذلك من انه قتل وأصر من خلال استجوابه على القتل معترفا بفعله ذاك فتحول إلى مجرم في نظر المجتمع والى قاتل هيج كوامن الداء واستفحل لينتقل إلى شخصيات الرواية الأخرى، وهو هنا نجده قد قوض أهم ركائز الشخصية الإنسانية المتمثلة في الوعي والعقل والإرادة الحرة، فلم تعد تتحدد أهميته في كونه عاقلا ولا في كونه ذاتا قاصدة وواعية متحكمة في نفسها ومواضيعها الخارجية، وكأن الكاتب نجده يمارس في ذلك سلطته على النص ويخضعه إلى انسجام لا عقلاني وينتزع المعنى من كلماته، وهذا ما يبرر غياب الحب عند مصطفى سعيد وتحوله سايكلوجيا إلى مجرم وقاتل، وفي ذلك يذهب (سيغموند فرويد) إلى أنّ "هناك خصيصتان ضروريتان للمجرم، أنانية لا حد لها ودافع قوي نحو التدمير، ومما يلزم هاتين الخصيصتين ويعتبر شرطا ضروريا للتعبير عنها فقدان الحب، أي فقدان التقدير العاطفي"(38) ، نتيجة نجدها حتمية للفراغ الذي تركه غياب الوعي عند مصطفى سعيد وتبدو فيه الرواية منفتحة على قراءة تنزع نحو استنطاق ذاتية الإنسان

العربي، ضاربة في أعماق الذات الفردية والجماعية، نافذة إلى حميميتها، ناقلة مجاهل تلك الروح المتباينة والمتمزقة والمتشككة.

ويبني الناقد(محيي الدين صبحي)(39) موقفه من موضوع الموت في الرواية ويربطه بزاوية أسماها (زاوية الفاجعة في اللقاء الحضاري) ركّز ومن خلالها على فعل القتل في الرواية وربط فيه بين فعلين كانت نتيجتهما الموت في مقارنة تجمع بين قتل مصطفى سعيد لجين موريس، وقتل عطيل لديدمونة وشتان ما بين الفعلين، عطيل قتل ديدمونة بسبب الغيرة والدسائس التي وجدت صداها في فعله المصاحب لفعل الموت، في حين مصطفى سعيد قتل زوجته جين موريس بدافع الثأر والانتقام واثبات الذات، بدأ بالتوتر والتحدي وانتهى بالفجيعة والموت يتبناه حقد تاريخي ويتلاعب فيه بالحقائق في حالة من الانشطار والانقسام لنهاية تتسم بالتصميم والاقتناع لفعل القتل وتعكس مرارة الفعل وردة الفعل، والناقد في طرحه لهذا الموقف يتبنى رصد جوانب من المصير الإنساني وفلسفة الموت التي تحولت من فردية إلى جماعية وربطها بالفعل الحضاري دلالة على ارتباط الذات بما حولها ارتباطا أصيلا،كما ويعبر عن تحولات الذات في اتجاه استنفار الطاقات الانفعالية التي تتلاءم وفلسفة الموضوع وإسقاط سلسلة من الفرضيات الاستنتاجية التي تحاول استباق الحدث وإدخاله ضمن موضوع اللقاء الحضاري، وهي إستراتيجية تشكل حالة مثلى يستطيع السرد من خلالها إضفاء الجانب الحضاري على الموضوع وإسقاط تفاصيله من خلال حالات التماهي مع أحداث متقاربة تتبنى نفس الموقف من الموضوع وطرحه في إطار فلسفي تكون فيه الغلبة للكثافة الدلالية على حساب تنوع حالات التشخيص.

ويرى الناقد (د.سمير الخليل)(40) ما يراه الطيب صالح- ونوافقهما في ذلك- أن مصطفى سعيد ضحية وضع لا خيار له فيه، يكرس وبدون شك وضعية الشخصية الإشكالي في موجات من التحول نحو تحطيم النماذج النمطية وتطوير الأساليب السردية والصور اللغوية التي رافقت قضايا التحول الاجتماعي

والحضاري لتشكل ومن منظور فلسفي عوالم الخبرة الفردية بهشاشتها ومحدوديتها، ومواقف المواساة والإدانة والتنديد التي اشتملت على معطيات ومواقف وحالات نفسية وردود أفعال بالغة الأهمية استمدت مضامينها من تجربة فعلية مارس فيها ومن خلالها مصطفى سعيد فعلا يستمد مادة وجوده من ارتهانات الواقع الذي يتعامل مع التجربة من خلال إحالتها على عوالم يمكن التأكد من واقعيتها، وسلطة المتخيل الواسعة الذي يبني قوانينه استنادا إلى العوالم الممكنة لا إلى حدود التجربة الواقعية، وبهذه النقلة النوعية يكتسب الموضوع بعدا فكريا وفلسفيا ويخضع لعملية تهذيب فني ويصبح جزءا من عالم يتأرجح بين الممكن والواقعي، بين المحتمل والفعلي.

ويوجه الناقد (يوسف اليوسف)(41) مفهوم الموت في الرواية ويطرحه ضمن ثنائية تلتزم مفهوم الامتلاك وسيلة لفعل القتل الذي يندرج في ثنائية تتمثل في ميل مصطفى سعيد لامتلاك جين موريس وقتلها في نفس الوقت، وهذه الثنائية نجدها بادية للعيان إذ يسعى ومن خلالها إلى مضاجعتها وقتلها في نفس الوقت، وهو في ذلك نجده يدعم القتل بالجماع؛ لأنه لا يستطيع في الحقيقة أن يتصرف تجاهها إلا تصرفا جنسيا، وحتى القتل نفسه يغدو عملية جنسية، وقد افلح الكاتب في استخدام الخنجر وسيلة للقتل ضمن ثنائية (خنجر وعضو ذكورة) ولم يستخدم المسدس مثلا، ليعبر عن ساديته والتفاعل ألشبقي الذي تبديه جين موريس إزاءه، موقف لا عقلاني في ظاهره ولكنه يستر عقلانية باطنية مفادها أن مصطفى سعيد يحاول أن يقنع نفسه بامتلاك جين موريس ولو لفترة قصيرة، وهو بأي حال من الأحوال يحاول النيل من أنوثتها ليهدئ ثأره اللاشعوري تجاهها، والناقد في ذلك يضفي شبكة دلالية معقدة ترشح موضوع الموت باللذة، نجدها وحسب الناقد (د. عبد الله إبراهيم) تصادر مجموعة قيم الآخر وأفكاره لصالح الذات التي تلغي خاصيته وإسقاطه لقيمه ومعاييره دون أن تترك له حيزا للاختلاف أو التنوع، مع ضرورة التنبيه انه اختلاف مشروط باللاوعي واللاشعور(42)،يستمد آثاره من نظام

العلاقات المتحول في كلتي الشخصيتين، ونماذجهما الاجتماعية والنفسية المتنوعة، وتكثيفهما في حالات مخصوصة تعيد صياغة الموضوع ضمن عالم مخيالي يستمد عناصره من الصياغة لا من الوقائع الفعلية، وهو تغيير نجده يتجاوز آليات السبب والنتيجة إلى جدليات التفاعل المستمر بين الجانبين، إذ أن كلا منهما يؤثر على الآخر بقدر ما يتأثر به، ووفق هذه التحولات تتغير المعادلة ويغدو الصراع أمرا مرغوبا فيه لا مرهوبا منه لتتكشف حقيقة فعل القتل ويتردد الضياع (ضياع الذات) في تكرار الفعل كاشفا عن معاناة الشخصية وحركة التناقض بين الوعي واللاوعي، بين الشعور واللاشعور بين الذاكرة والرؤيا والجدل القائم بينهما، لتصل إلى حالة من التشظي والانكسار وبالتالي إلى الانتحار وأخيرا الموت باعتباره حدثا يرصد لعلاقات غير مرئية في التجلي المباشر للوقائع الإنسانية ويفصل بين الحالات والتحولات ضمن إستراتيجية سردية يقيم دعائمها اكراهات الواقع، لا تختلف عما تقترحه التجربة المشتركة بين مصطفى سعيد من جهة وعشيقاته اللواتي انتحرن وزوجته جين موريس، من روابط وعلاقات يكون نتاجها في محصلة الأمر الموت والانتحار المدعوم بقصديه فعل القتل من جانب مصطفى سعيد والواقعة ضمن مسبقات البناء الفكري، وفي هذه الحالة سيكون بمستطاع المتلقي تصور الفكرة قبل استيعابها للحدث الذي يخبر عنها، إذ القصد هو الأساس، أما الذرائع فكثيرة ومتحولة تخضع لتحولات داخلية ومنبثقة من إحالات ضمنية لا تدرك إلا من خلال ربطها بحدث سابق وآخر لاحق.

إنّ الذات وفي أقصى حالات عزلتها وبحسب الناقد (سعيد بنكراد)(43) تظل نموذجا إجتماعيّا لا يمكن أن يصوغ إنفعالاته المتنوّعة بعيدا عن الصور التي يبلورها المجتمع لهذه الأفعال؛ ولهذا فان التعبير عن موضوع الموت في الرواية موضوعا فلسفيا لا يمكن أن يتم خارج الإحالة على معطيات الثقافة والتاريخ والايدولوجيا، وضمن هذه المعطيات يشكل الموت وتحديدا في موسم الهجرة إلى الشمال وعند مصطفى سعيد على وجه الخصوص عالما وكيانا مجردا يعيش في

الذهن من خلال واجهاته الرمزية، وهذا ما دفع بأحد الباحثين في قراءته للموضوع في الرواية من التساؤل عن المغزى الرمزي لنهاية كل من الراوي ومصطفى سعيد واختفائه أو موته منتحرا في نهر النيل ، وهنا يرى الباحث (مصطفى فآسي)(44) في أطروحته الموسومة (البطل المغترب في الرواية العربية) أن هناك من الدارسين من يفسر اختفاء مصطفى سعيد في نهر النيل أو غرقه- قبل محاولة الراوي الانتحار أيضا في النهر نفسه- تفسيرا رمزيا، نتبيّن من خلاله التناقض والحيرة التي وقع فيها وهو في منتصف النهر بين الشمال المتمدن والشرق المتخلف حائرا لا يدري إلى أين يمضي، هنا يتوقف الوعي ويغدو اللاوعي فعلا قائما بذاته ، نجده يؤسس لسكون تشتغل فيه ومن خلاله توترات الجسد وصراخه وهذيانه كنقطة إشباع لدورة سردية استكملت حلقتها الأولى بموت مصطفى سعيد من خلال تجسيد حركة الفعل السردي المتعلق بفعل الانتحار ولحظة تشكل موته وذوبانه عبر استغاثة وتأوهات الجسد، وهو ما يشكل نقطة إرساء بدئية لفعل الراوي(الشخصية الرئيسة الثانية) الذي يقرر وعلى عكس مصطفى سعيد قرارا ايجابيا ويختار الحياة طلبا للخروج من الضياع والحيرة واللاافق، في لحظة يمتص فيها جميع انفعالاته، يكشف السرد عنها بشكل جزئي داخل البناء الروائي ضمن بنية تنقل القارئ من حالة الاستبهام اللفظي إلى حالة الفعل الحقيقي واستعادة البداية التي تكشف عن تفاصيل تقربه من الفردي وتجعله قادرا على الإيحاء بالحقيقي لا المتخيل، ومن هنا نجد الرواية تنفتح على حاضر روائي آخر يمثل بداية النهاية التي انتهى إليها مصطفى سعيد وبداية جديدة للراوي تتحول إلى يقظة يتنصل فيها من الموت، ويكشف الفني فيها عن طابع فلسفي عميق قوامه حرية التعبير والحياة، ولحظة الانصهار المشحون بالولادة، وهو إذ يشعر بصعوبة مقاومة التيار له يصرخ طالبا النجدة، وهذا الصراخ قد يكون بحسب الناقدة يمنى العيد هو صراخ الفرد للجماعة، ضمن رؤية تربط كغيرها بين وجهة نظر الراوي الأحادية والوظيفة الفلسفية لموضوع الموت في الرواية. (45)

إنّ تفسير محاولة الراوي للإنتحار والعدول عنه نجدها ومن خلال ما يطرحه الباحث تشير إلى أفق يتوازى مع الحياة منذ اللحظة الأولى التي يقرر فيها عودته إلى الحياة، إنّه صوت يتكفل بسرد رحلة العودة وإعادة إكتشاف العالم من جديد، وهنا تكمن المفارقة في أنّ دلالة الموت تقترب منه لتكون حسية عدمية، حسية بالنسبة لما يتراءى له مما حصل لمصطفى سعيد ، يثير كينونته الداخلية ويصدمه بذاته وينزلق بذهنه إلى صورة متحركة توحي بالغموض الذي يكتنف وعيه حالما يتقرب منه وبتعبير أدق حالما يتماس معه، وهذا يجعل برأينا أن العلاقة بين الذات والموضوع صراعية جدلية تتحرك من الامتلاك إلى الفقد ضمن دورة تنتهي إلى تسوية تؤدي بالراوي إلى دور مركب يتحفز وبحسب(أيزر) نحو" إثارة فجوات وتقلبات والتواءات غير متوقعة"(46)، وعدمية يرتخي فيها الشد وتهمد الذات وتنحاز إلى آلية اقرب إلى الوضوح وكأننا نسير مع النص في اتجاه متابعة الكيفية التي يريد بها أن يقول شيئا، ومؤسسين عبر ذلك تواصلا مع النص يسمح لنا أن نستكمل مبادرته في التخطيط والتواصل مع الموضوع وتحديد عوالمه استنادا إلى بعض المعطيات التي يحدد فيها الفعل السردي بؤر انتشاره الأولى وممكنات حركته التي لا تتم إلا من خلال زحزحته عن موقعه، وإدراج مجموع الوقائع الممكنة والقابلة للتشخيص ضمن سجل رمزي يحول الوظيفي إلى بؤرة من المخزون ألقيمي والذي يتخذ طابعا فلسفيا ينظم ويخلص ويرتب هذه الوقائع من بعدها النفعي لكي يحولها إلى بؤر تسكنها الإحالات الرمزية، وتفتح الطريق أمام قوة استيهامية تمنح النص نواة غير قابلة للضبط تغنيه وتجدده باستمرار ، لما لها من قدرة تكشف عن تلك الأنشطة السرية التي تشتغل في الداخل في لحظة يحاول فيها الراوي اتخاذ قراره للعودة إلى الحياة من جديد بعد أن أسس لفعل الموت بالممكنات التي يتحرك ضمنها بين ذاتية ترصد، وموضوع يسوده عالم مقلق ومظلم وغريب، يدفع بالقارئ إلى البحث عن معنى لذلك الاختفاء المبطن بفعل الموت والذي نفقد معه كل متعة ولذة في الحياة ، يتموضع ضمن صيرورة جدلية

بين الواقع واللاواقع، بين الوعي واللاوعي،ويندرج ضمن صوغ سردي للأفكار الداخلية، نجدها وهي صامتة أكثر أهمية وتعقيدا من التي تقال بصوت عالٍ.

إنّ الكتابة في موضوع الموت وإدراجه ضمن المواضيع الفلسفية نجدها مرآة تعكس ما يحدث في الداخل، وقيمة هذه المرآة تكمن في كون انعكاس الداخل على الخارج يمنح الكتابة في الموضوع شكلا جديدا غير مألوف، والانعكاس الفلسفي لموضوع الموت في الرواية قد سعى إلى اختيار الموت تعبيرا عن عنف جذري وغامض يهدد شخصيات الرواية ببذرة الفناء التي يحملها، والشعور الحاد بالقلق والذي يشير وحسب ما نراه من مجمل الدراسات التي قدمت الموضوع في مظهرين متداخلين، يتمثل الأول في عدم الرضا عن الحالة الحاضرة، والثاني خشية المستقبل استنادا إلى رؤية تتخذ لها مسافة نقدية من واقع معيش مصابيحه مطفأة، لكنها تدعو إلى إعادة تقويم الذات بماضيها وحاضرها ومستقبلها.

وعلى هذا النحو إتّجهت الدراسات النقدية والبحوث والآراء التي أخذت في دراسة موضوع الموت في الرواية موضوعا فلسفيا بغية تعرية جوانبه والكشف عن أصوله المنهجية والفكرية والنفسية والدلالية والرمزية أيضا، يتمثل فكرا انعكاسيا لمتغيرات تستدمج الوقائع المادية والنفسانية عبر المدركات المعرفية والذهنية بحثا في الأصول والغايات القصوى التي تبحث في تأملات وآراء فلسفية واجتهادات فكرية، وتعالج بكثير من التوسع موضوع الموت في الرواية متصلا بواحدة من أقصى المواضيع المهمة، انه انتفاء الوجود ونهايته في الصورة التي ندركها في هذه الحياة، والرصد النقدي والتحليلي للموضوع في الرواية حاول أن يكشف عن مضامينه ويتأمل ما هو كلي وينغمس في نشاط يقاوم الموت بطريقة تحقق أو تحاول أن تحقق للذات حالة من التوازن التي تفقدها في لحظة المواجهة والبحث عن مخرج من صورة الواقع وارتهاناته.

إنّ ما نقرؤه في هذا الموضوع لا نجده معنى جاهزا أو مستقلا بذاته، إذ الحقيقة لا توجد بشكل مطلق في النص بل مثواها السياقات التي يمكن بناؤها مع

توالي القراءات وتنوعها، وتحققات ممكنة للظواهر من خلال فعل التأويل ومنه تنبثق كل المضامين التي يتم تخزينها لاشعوريا لتبدو كإمكانات لا حد لها، إنها تنشط لتدخل في علاقة مع الوحدات الخاصة بالتجربة الذاتية للشخصية في الرواية وفي طريقة بحثها عن الموت التي تخفي ومن خلاله إستراتيجية خطابية منظمة ترتكز على مفاهيم الوعي واللاوعي، الشعور واللاشعور، هي اقرب اللحظات- وتحديدا بالنسبة للراوي ووقوفه بين الشمال والجنوب- إلى حقيقة لا يمكن استعادتها ألا على شكل استيهامات تسكن الذاكرة وتغذي المخيال بأحداث يتم استعادتها في حالة من اللاشعور أو اللاوعي، ولن تكون سوى تحيز لرحلة تمتد طويلا إلى نهاية معينة(47)، وهذه النهاية تمثل إحالة رمزية على اختراق ما سيأتي بعدها من مجهول، وهي مغيبة بالمكان استعادة بدايتها من خلال ما يقرره الراوي في عدوله عن فكرة الموت الذي لا يمثل الموت أو الحياة في نفس الوقت(ليس موتا أو حياة)، انه يحيل على السر والغموض والالتباس، وهو إلى هذا أو ذاك انتشار في الزمان والمكان، وفعل الاختفاء وتحديدا مع مصطفى سعيد نجده وضمن هذه الرؤية خارج مدار الزمن المألوف، انه موجود في الذاكرة الفردية للراوي تحديدا كحالة قابلة للتجسيد في أية لحظة، انه حي إلى أن يعود أو يعلن عن مماته، ما يفسر تلك الرغبة في الاختفاء إلى ما هو ابعد مما تراه العين بشكل مباشر، والتي تكشف ومن وجهة أخرى عن رغبة الراوي وعودته إلى الحياة بعد أن قرر الانتحار هو الآخر وتنبئ بتغييرات آتية يحددها الفعل السردي ضمن بؤر انتشاره في النص توحي بإسقاط عالم مصطفى سعيد أو استمراره من خلال الراوي معلنا عودته إلى الحياة والعدول عن فعل الانتحار المرتبط بالموت الذي يكتفي فيه السرد برصد تحولاته وانعكاساته ضمن حدود الخطاب الذي ستتحرك داخله.

الخاتمـــــة

إن ما نقرؤه من تحليلات وتحققات ممكنة للظواهر الفلسفية التي تبحث في موضوع الموت موضوعا فلسفيا ومن خلال فعل التأويل الذي منه تنبثق كل

المضامين التي يتم تخزينها لاشعوريا لتبدو كإمكانات لا حد لها، إنها تنشط لتدخل في علاقة مع الوحدات الخاصة بالتجربة الذاتية للشخصية في الرواية وفي طريقة بحثها عن الموت التي تخفي ومن خلاله إستراتيجية خطابية منظمة ترتكز على مفاهيم الوعي واللاوعي، الشعور واللاشعور، هي اقرب اللحظات تنتمي إلى حقيقة لا يمكن استعادتها ألا على شكل استيهامات تسكن الذاكرة وتغذي المخيال بأحداث يتم استعادتها في حالة من اللاشعور أو اللاوعي، ومن هنا خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج تتحدد وسياق الموضوع الواقع ضمن فلسفة الموت وموقف الإنسان منه :

- توصلت الدراسة أولا ومن خلال التحليلات النقدية التي بحثت في الموضوع إلى أن مسالة الحياة والموت ترتبط بحالة الاغتراب وبكافة جوانبها ارتباطا وثيقا أقلقت حالة التناهي ومحدودية الحياة بين البشر وأشعرتهم بهشاشة وجودهم، إذ الموت فعل فيه قضاء على كل فعل.
- رصدت الدراسة التحولات الاجتماعية والتغييرات الثقافية والمعيشية وانعكاساتها على مستوى الفرد والجماعة وأنماط التفكير والسلوك التي يلقي بظلالها الموضوع على الشخصيات في الرواية والتي ترتبط بدوار اللاوعي أكثر منه ارتباطا بالوعي.
- توصلت الدراسة إلى أن الرواية وتحديدا في بحثها لموضوع الموت موضوعا فلسفيا بقدر ما تكون استرجاعا مؤلما لتفاصيل تلك التجربة والوقوف عندها، نجدها بقدر عمقها محاكمة إبداعية للتجربة ذاتها تعبر عن نهاية مأساوية في الرواية مجسدة بمجموعة أفعال وهيأت تدلل على فعل الموت من قتل ومرض وانتحار وجرثومة مسببة لفعل الموت كل له دلالته الخاصة وسياقاته المنتجة التي تبحث في الموضوع ذاته.
- توصلت الدراسة إلى إن الموت يمثل في جوهره الفلسفي تحديدا قطيعة عن المعاني المتعارف عليها والتي أصبحت غير مؤهلة لان تتواجد بصفاتها

الطبيعية ضمن فضاء مشحون بكل أشكال الموت ودلالاته والذي يملي وضمن سياقه الفلسفي تحولا طوعيا تحدثه تلك الدلالات من تلقاء نفسها.

- إن تعدد أشكال الموت في الرواية يوحي وضمن سياقه الفلسفي بتحولات وتطورات تنتاب طبائع الشخصية والتي يسعى الكاتب ومنها إلى ادلجة الموضوع وربطه بدوار اللاوعي أكثر منه بالوعي الممكن للشخصية، والذي يكشف عن حقيقة الموضوع والتي تتضمن مصائر الشخصيات بكل حمولتها، ومصيرنا نحن أيضا ما لم نأخذ بالمسافة الضرورية بين ذواتنا وبين ما يسكنها من أوهام مرشحة لان تكون قاتلة تعبر عن فعل المأساة في الرواية وتجسد الموت بدلالاته وسياقاته التي تعمق فعل التمزق والضياع وتعكس الكثير من التحولات المادية والنظرات الفلسفية المتحولة والتي تنطوي على سر مغلق ولغز يستعصى فك شفراته يصعّد من القيمة الدلالية والموضوعية للموضوع.

الهوامش

1- ينظر: المعجم الفلسفي، د. مصطفى حسيبة، دار أسامة للنشر والتوزيع،ط1 الأردن 2009م/442 .
2- م.ن / 470،486،560 .
3- فلسفة الموت والميلاد، دراسة في شعر السياب، عزت عمر، المجمع الثقافي، أبو ظبي 2002م/ 85.
4- م.ن / 87.
5- البنيوية فلسفة موت الإنسان، روجي جار ودي، تر: جورج طرابيشي ط2، 1981م/9.
6- الرواية الفلسفية: جنس روائي فرعي نشأ في أحضان الفلسفة الوجودية، ويطلق عليها أيضا مصطلح(الرواية الوجودية)، وتعالج مواضيع مخصوصة كالحرية والالتزام والمسؤولية وعبثية الوجود والقصدية، وفنيا تتميز بانتظام أحداثها حول بطل مأزوم غالبا ما يكون مرغما على مجابهة أوضاع متناقضة، وتكون شخصياتها مسكونة بقضايا فلسفية متنوعة تتطارح الأسئلة الأكثر تجريدا وتتحاور فيما بينها بكل شغف.ينظر في ذلك: معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، إشراف: محمد القاضي، دار محمد علي للنشر، تونس ط1، 2010م/223.

7- الحداثة كسؤال هوية، مصطفى خضر، اتحاد الكتاب العرب، ط1 ،دمشق 1996م/ 179.
8- ينظر: ظاهرة الموت في الأدب العربي–دراسة تحليلية–، سالم آل تويه،جريدة الرياض، ع4386، اكتوبر2007م.
9- ينظر: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، د. عبد الرزاق الدواي، دار الطليعة، بيروت (د.ت)/ 6.
10-نقد النقد: مدخل ابستيمولوجي، د. محمد الدغمومي، مجلة الأقلام ع6 ، حزيران 1990/ 52.
11-نداء الحقيقة، مارتن هيدجر، ترجمة وتقديم ودراسة: عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1977م/ 98.
12-سيمون دي غوار ومشكلة الموت، نهاد التكرلي، مجلة الأديب، ع7 السنة 12 ، 1953م/ 36.
13-أسطورة سيزيف، ألبير كامو، تر: عبد المنعم ألحفني، مطابع الدار المصرية، القاهرة(د.ت)/ 17.
14-مشكلة الحياة، زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، القاهرة (د.ت)/ 45.
15-ينظر: الكلمات والأشياء، مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت 1989م/ 281، كذلك:الشخصية بين الحرية والعبودية، فؤاد كامل، دار المعارف، القاهرة 1981م/ 47.
16-ينظر: الرواية والتحليل النصي، قراءة من منظور التحليل النفسي، حسن المودن، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 بيروت 2009م/ 184.
17-السرد الروائي وتجربة المعنى، سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1 المغرب 2008م/ 28.
18-نقد النقد: مدخل ابستيمولوجي، د. محمد الدغمومي، مجلة الأقلام ع6 حزيران 1990م/ 55.
19-السرد الروائي وتجربة المعنى، سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط:1، المغرب،2008، ص:8.
20-ينظر: قراءة في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"، د. السعيد الهارف، مجلة معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة ع1 الجزائر 1994م/ 133.
21-الراوي، الموقع والشكل، يمنى العيد، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ط1 1986م/ 57، ينظر كذلك: زمن السرد الروائي في إنتاجه دلالات التملك للوطن في رواية(موسم الهجرة

إلى الشمال)، يمنى العيد، ضمن كتاب(في معرفة النص) دراسة في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة ط1 بيروت 1983م/ 265- 266.

22-ينظر: النقد والايدولوجيا-من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ط1بيروت 1990م/ 27، كذلك: نظريات معاصرة، د. جابر عصفور، دار المدى للثقافة والنشر، ط1 دمشق 1998م/ 23.

23-ينظر: الصوفية والسوريالية، ادونيس، دار الساقي ط2 بيروت 1992م/ 42، كذلك: المعجم الصوفي(الكلمة في حدود الحكمة)، د. سعاد الحكيم، ندوة للطباعة والنشر ط1 بيروت 1981م/ 317.

24-ينظر: كانت أو الفلسفة النقدية، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة 1972م/ 244.

25-ينظر: في الفكر الغربي المعاصر، د. حسن حنفي،ج2 ،دار التنوير، بيروت 1982م/ 271، كذلك: الحداثة والتواصل في الفلسفة المعاصرة(نموذج هابر ماس)، محمد نور الدين آفاية، إفريقيا الشرق ط2 المغرب 1998م/ 43.

26- ينظر: الغيرية في الخطاب الروائي(الطيب صالح نموذجا)، ربيعة العربي، مجلة الحوار المتمدن، ع 3587، 2011م/ 42.

27- وظفت الرواية مجموعة كثيرة من المقاطع التي تحيل إلى موضوع الموت يشير وحسب الناقدة إلى معاناة الشخصية، منها(احضر الأكفان، المقبرة، جثته، المأتم، يتصارعون على جثتي، يدفن في المدينة، مراسيم الجنازة، ود الريس حفر قبره بيده،.....)، ينظر: الرواية / 8، 9،10، 15، 22، 23، 26، 30، 37، 39، 40، 60، 68، 79.

28-ينظر: الماركسي والنقد الأدبي، تيري ايجلتون، تر: جابر عصفور، منشورات عيون، الدار البيضاء 1986م/ 26.

29-ينظر: إشكالية الموت في الرواية العربية والغربية، احمد الزعبي، مكتبة الكتاني، الأردن 1994م/ 111،114 ، 116.

30-الموت في الفكر الغربي، جاك شوروت، تر: كامل يوسف حسين، مر: د. إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة ع76 ، 1984م/300.

31-الموت في الفكر الغربي، جاك شوروت، تر:كامل يوسف، مراجعة:إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المهرفة، ع: 76الكويت، 1984، ص: 300.

32-ينظر: المثقفون العرب والتراث(التحليل النفسي لعِصاب جماعي)، جورج طرابيشي، دار رياض الريس للطباعة والنشر، لندن 1991م/ 289 ، كذلك: شرق وغرب، رجولة وأنوثة/ 170.
33-التلقي والسياقات الثقافية، عبد الله إبراهيم، منشورات الاختلاف ط2 الجزائر 2005م/ 14.
34-أزمة الأجيال العربية المعاصرة (دراسة في رواية موسم الهجرة إلى الشمال)، فوزية الصفار، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1980م/ 128.
35-ينظر: الطيب صالح روائيا عبثيا وواقعيا أصيلا، عدنان حسين احمد، مجلة الثقافة ع2، السنة 13، بغداد 1983م/ 60.
36-البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة، محمد عزام، الأهالي للطباعة والنشر، ط1 دمشق 1992م/ 39.
37-ينظر: الرواية العربية والحضارة الأوربية، شجاع مسلم العاني، منشورات وزارة الثقافة، العراق 1979م/ 93.
38-نقلا عن: دستويفسكي، رينيه ويليك، تر: نجيب المانع، المكتبة العصرية، بيروت 1967م/ 164.
39-عوالم من التخييل، محي الدين صبحي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1974م.
40-ينظر: العلاقات الحضارية بين الغرب والشرق وصورة الآخر في أدبنا العربي(رواية موسم الهجرة إلى الشمال أنموذجا)، د. سمير الخليل، ضمن كتاب: علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي(مقاربات نقدية)، دار الشؤون الثقافية العامة ط1 بغداد 2008م/ 195.
41-ينظر: العقد الجنسية في موسم الهجرة إلى الشمال، يوسف اليوسف، مجلة المعرفة ع150، 1974م/ 86.
42-ينظر: المركزية الغربية، د. عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي ط1 الدار البيضاء 1997م/ 6.
43-ينظر: السرد الروائي وتجربة المعنى/ 267.
44-ينظر: البطل المغترب في الرواية العربية، مصطفى فآسي، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. عبد الله ركبي، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2005م/ 92.
45-ينظر: الراوي، الموقع والشكل/ 11.

46- عملية القراءة–مقترب ظاهراتي، ولفغانغ أيزر، ضمن كتاب: نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، جين ب. توم بكنز، تر: حسن ناظم، علي حاكم، المطابع الأميرية 1998م/ 124.

47- ينظر: السرد الروائي وتجربة المعنى/ 13.